الحاجة القصوى

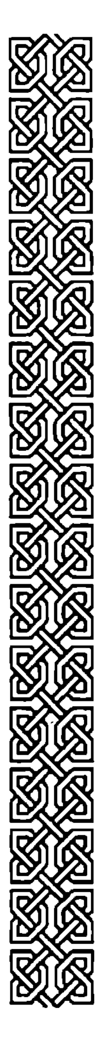
إلى التحدث بالفصحى

تأليف

الدكتور/ حمادة أحمد محمد إسماعيل

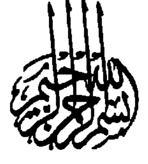
الحاجة القصوى

إلى التحدث بالفصحى



الحاجة القصوى

إلى التحدث بالفصحى



الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠١٦/٣٩٧٦م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6546-12-7



0112 0774 990 - 0100 0282 166

Daralamal2014@gmail.com

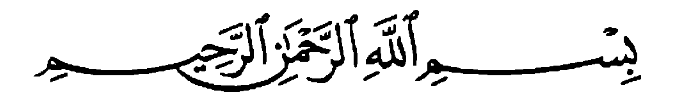
الحاجة القصوى

إلى التحدث بالفصحى

تاليف

الدكتور/ حمادة أحمد محمد إسماعيل




بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله - تعالى - نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي

هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن من أعظم ما يواجه النهضة الإسلامية في هذا العصر هو بعد الناس عن العربية الفصحى، وهذا حكم قد يرى بعض الناس أن فيه غلوا وشططا، أعلم هذا؛ ولكن كل ذي بصيرة نافذة يعلم أن هذه حقيقة ينبغي التسليم بها.

وأنا ما صدحت بهذا الحكم بضرب من التخرّص والظن، ولا صدرت فيه عن بداءة الرأي؛ فإنني قد لمست هذا بنفسي، فلقد بقيت مدة طويلة من الزمن أحاور زملاء الدراسة، وأحاور أهل البدع في بعض القضايا الإسلامية، فوجدت أن كثيرا منهم لا يفهمون عني ما أقوله، وشعرت بفجوة شديدة بيني وبينهم، فظننت بادئ الأمر أن القوم أغبياء، أو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد طمس على قلوبهم فلا يدخلها نور الحق؛ ولكن تبين لي بعدُ أن ثمت سببا آخر قلما يفطن إليه كثير من الناس، وهو عدم معرفة القوم للغة العربية معرفة تؤهلهم لفهم القرآن الكريم، وفهم أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهما دقيقا.

وإن هذا الأمر لم يقتصر على عامة الناس؛ بل إن كثيرا من الإعلاميين وكثيرا من المدعين للعلم يفهمون كثيرا من آيات القرآن وأحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير وجهها، ويذهبون بها إلى تأويلات بعيدة تذهل العاقل وتضحك الثكلى، وإن من أعظم أسباب ذلك؛ هو قصور فهمهم للعربيـة.

ومما يؤيد هذا الذي ذهبت إليه ويقويه؛ قول ابن جني: «إن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحـاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنمـا استهواه واستخف حِلْمه: ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها»[1].

لقد نزل القرآن بتسفيه المشركين، وجاء بأحكام وشرائع تفضي إلى خلع عوائد قد ألفوها، وتصرفهم عن شهوات قد استباحوها، وطال عهدهم بها حتى صارت لهم ديدنا وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجِبِلَّة، و«الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا

(1) (الخصائص) لابن جني ٣/ ٢٤٥.

ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة؛ تنزل منزلة الطبيعة والجبلَّة»[1].

وقد قال الشاعر:

وينشـــأ ناشئ الفتيـان منا　　على ماكان عوده أبـوه

ولكن لـمـا كان القوم أهل بيان وفصاحة؛ أثر فيهم القرآن تأثيرًا قويًا؛ وذلك لأنه نزل باللسان العربي، وكان أبلغ كلام سمعوه.

قال جُبَيْر بن مُطْعِم: «سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فكاد قلبي أن يطير»[2]، وكان هذا قبل إسلامه.

ولقد أثرت بلاغة القرآن وفصاحته في رجل مريض القلب، عاش كافرا ومات كافرا، وقد ذمه الله في كتابه العزيز وتوعده فيه بالنار ، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد أثر عنه كلام هو من أبلغ ما مدح به القرآن، وهذا الرجل هو الوليد بن المغيرة.

---

(1) (المقدمة) لابن خلدون ١/ ١٥٦.

(2) أخرجه البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب: باب قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ [ق: ٣٩]، حديث رقم (٤٨٥٤).

فقد ورد في تفسير سورة المدثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: «يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قِبَله»، فقال: «قد علمت قريش أني من أكثرها مالا» قال: «فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وكاره»، قال: «وماذا أقول ؟» فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطُلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى»، قال: «لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه»، قال: «فدعني حتى أفكر فيه»، فقال: «هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره»، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١][1].

قال القسطلاني: «وحكى أبو عبيد: أن أعرابيا سمع

---

(1) رواه الحاكم، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».

رجلا يقرأ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [الحجر:٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. وسمع آخر رجلا يقرأ: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ [يوسف: ٨٠] ، قال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وحكى الأصمعي: أنه رأى جارية خماسية أو سداسية[1] وهي تقول: أستغفر الله من ذنوبي كلها، فقلت لها: مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم؟ فقالت:

أستغفر الله لذنبي كله   قتلت إنسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله   انتصف الليل ولم أصله[2]

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آية

---

(1) عمرها خمس سنين أو ست.

(2) تريد أنها قتلت نفسها بعدم فعل الطاعات؛ حيث انتصف الليل ولم تقم بين يدي الله.

واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وحكي أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يومًا نائمًا في المسجد، فإذا هو برجل قائم على رأسه يتشهَّد شهادة الحق فاستخبره، فقال له: إني من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها، وإني سمعت رجلًا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأمَّلتها، فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة؛ وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ ﴾ [النور: ٥٢] الآية»[1].

ولقد تأثر الجن بالقرآن ساعة سمعوه، وامتلأت قلوبهم بمحبته، وانطلقوا إلى أقوامهم يدعونهم إلى اتباعه، وحكى القرآن عنهم ذلك في موضعين؛ أما الموضع الأول فقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ

(1) (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) للقسطلاني ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥.

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وأما الموضع الثاني فقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

والناظر إلى أهل هذا الزمان يرى أنهم لا تؤثر فيهم فصاحة القرآن، ولا يجذبهم إليه بيانه وبلاغته؛ وما ذاك إلا لضعف معرفتهم باللسان الذي نزل به هذا الكتاب.

لذلك لا تعجب إذا ما رأيت القوم ينصرفون عن كلام رب العالمين، ويقبلون على سماع ما لا يحسن بهم سماعه، يقبلون على سماع كلام بلغ الغاية في الركاكة والسخف، ولا تعجب من الشباب؛ بل ومن كثير من الشيوخ والعجائز - ونسأل الله أن يحفظ علينا عقولنا - الذين يتهافتون على سماع هذا الذي يحب الحمار، وهو بهذا يكون أول من تشبب[1]

(1) التشبيب: هو الغزل، قال ابن منظور: وتشبيب الشعر: ترقيق أوله بذكر النساء، وهو من تشبيب النار... وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب، وهو يشبب بها أي ينسب بها، والتشبيب: النسيب بالنساء. (لسان العرب) لابن منظور =

بالحمار، وهلا تشبب بالأتان[1]، وهو تشبيب لم نعهده من قبل!! فإننا قد عهدنا الشعراء يتشببون بالنساء، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب !!

ألا ترى معي أن من يستمع إلى مثل هذا الكلام التافه؛ لا يبلغ أن يفهم كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إنني أراني وأنا أحدث الشباب وأذكر لهم كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كالذي يتحدث إلى أعجمي لا يربطه بلسان القرآن سبب ولا نسب.

ولا تظن أن هذا الذي وصل إليه هذا الجيل وقع دون أن يسعى إليه أحد، قد وهم من ظن ذلك، وغفل غفلة شديدة عما يحاك للأمة من قبل أعدائها؛ إن هذا الحال الذي وصلنا إليه يعمل عليه أعداء الإسلام منذ أمد بعيد، ولقد وصل هؤلاء إلى بعض ما يريدون، ولولا أن الله يحفظ دينه لضاعت اللغة العربية؛ فقد قيض[2] الله عَزَّوَجَلَّ

١/ ٤٨١.

(1) الأتان: أنثى الحمار، والجمع: أتن.

(2) قيض: قيض الله فلانا لفلان: جاءه وأتاحه له . وقيض الله له قرينا: هيأه وسببه من حيث لا يحتسبه. (لسان العرب) لابن منظور٧/ ٢٢٥.

لها رجالا صادقين أوفياء يذودون عنها؛ لأنها هي التي تحفظ لنا طريقــة فهــم الكتاب والسنة.

لذلك كتبت هذه الرسالة أستحث بها أبناء العربية على الاهتمام بها وجعلها لغة التخاطب.



أهمية العربية في حفظ الدين

إن معرفة العربية من أهم الأمور التي تساعد على فهم القرآن الكريم وفهم أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستنباط الأحكام الشرعية، وكذلك فهم كلام أهل العلم، وهذه حقيقة أوضح من أن تحتاج إلى برهان أو دليل، فإنه لا يبقى في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، وعلى الرغم من ذلك؛ فإننا نبين علة هذا الأمر؛ ليتقرر في ذهنك ويكون منك على ذكر، إن السبب في ذلك هو أن نصوص الشريعة وكلام أهل العلم في شرحها محفوظ ومسطر باللغة العربية، وليست هناك لغة في الدنيا تقوم مقام العربية في فهم نصوص الشريعة من كتاب وسنة على الوجه الذي ينبغي أن يكون.

وعلى قدر معرفة المرء باللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وأدب وبلاغة وغيرها من الفنون؛ يكون فهمه لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلام أهل العلم.

وزيادة في تقرير هذا الأمر نسوق إليك كلام أهل العلم في هذا الباب؛ وذلك لأنني أريد أن أشحذ همتك؛ لأن هذا

يكون له ما بعده، ويأتيك قريبا، فاصبر على قراءة كلام العلماء وتدبره، ولا تمل من كثرة النقل عنهم فإن كلام العلماء شفاء.

قال أبو بكر الشنتريني في مقدمة كتابه (تنبيه الألباب): «إن الواجب على كل من عرف أنه مخاطب بالتنزيل، ومأمور بفهم كلام الرسول ﷺ، غير معذور بالجهل بمعناهما، ولا مسامح في ترك العمل بمقتضاهما، أن يتقدم فيتعلم اللسان الذي أنزل الله به القرآن؛ حتى يفهم كلام الله، وحديث رسول الله ﷺ؛ إذ لا سبيل لفهمهما دون معرفة الإعراب، وتمييز الخطأ من الصواب» اهـ.

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشريعة عربية وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم، لأنهما سيان في النمط، فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية؛ فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله

(1) (الموافقات) ٥/ ٥٣.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه؛ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة، وهذه مجازا؛ كما أخطأ المرجئة في اسم الإيمان جعلوا لفظ الإيمان حقيقة في مجرد التصديق، وتناوله للأعمال مجازا»[1].

وقال - أيضا -: «ومعلوم أن تعلم العربية؛ وتعليم العربية فرض على الكفاية؛ وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن. فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه؛ فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة؛ والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما يعرف فضل القرآن من

---

(1) (الإيمان) لابن تيمية ١/ ٩٧.

(2) (مجموعة الفتاوى) لابن تيمية ٣٢/ ٢٥٢ .

عرف كلام العرب وعلم العربية، وعرف علم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة ودروب الفصاحة، وأجناس التجنيس وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال.

فإذا علم ذلك في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله عَزَّوَجَلَّ فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان؛ فقد أوتي فيه العجب العجاب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تحير الألباب، وتغلق دونها الأبواب.

فكان خطابه للعرب بلسانهم؛ لتقوم به الحجة عليهم، ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة؛ ليسبل رداء عجزهم عليهم، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم، وكلت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم، وبرز في رونق الجمال والجلال، في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال.

ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه،

أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه، أو غير عالمة، كافرة بما جاء به، أو مؤمنة»[1].

ولأهمية اللغة العربية في فهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ اشترط العلماء في المفسر أن يكون عالما بلغات العرب.

قال ابن قاسم النجدي: «ويرجع في تفسير القرآن فيما احتمل معان، ووقع في عبارات السلف فيه تباين: إلى لغة السنة في ذلك، أو يرجع إلى لغة العرب، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ونص عليه أحمد، وغيره.

قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله، واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالما بلغة العرب.

وقال مالك: لا أوتى برجل، غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا.

فيجوز الرجوع إلى اللغة؛ لأن بها يعرف شرح الألفاظ، ومدلولاتها واستعمالها بحسب الوضع»[2].

وكذلك اشترط العلماء في الفقيه أن يكون عالما باللغة

---

(1) (الفوائد) لابن القيم ص٧ .

(2) (حاشية مقدمة التفسير) لابن قاسم النجدي ١/ ١١٧ .



العربية؛ وذلك لأن الشريعة عربية، ولا سبيل إلى استنباط الأحكام إلا بفهم كلام العرب.

قال ابن حزم: «ففرض على الفقيه أن يكون عالما بلسان العرب؛ ليفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ، وعن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون عالما بالنحو الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ، فمن جهل اللغة وهي الألفاظ الواقعة على المسميات، وجهل النحو الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني، فلم يعرف اللسان الذي به خاطبنا الله تعالى ونبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن لم يعرف ذلك اللسان لم يحل له الفتيا فيه؛ لأنه يفتي بما لا يدري، وقد نهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]»[1].

وقال ابن خلدون: «الفصل الخامس والأربعون في علوم اللسان العربي: أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة؛ إذ مأخذ

---

(١) (الإحكام) لابن حزم ٥/ ١٢٦.

الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»[1].

□□□

(1) (تاريخ ابن خلدون - المقدمة) ١/ ٧٥٣.

المقدم من علوم العربية

وإن أهم علوم العربية هو علم النحو، قال العلامة ابن خلدون: «إن الأهم المقدم من علوم اللغة هو النحو؛ إذ به تبينت أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة»(١).

وقال أبو إسحاق الزجاج: «فإن قال قائل: فما الفائدة في تعلم النحو، وأكثر الناس يتكلمون على سجيتهم بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، فيفهمون ويفهمون غيرهم مثل ذلك؟

فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه: الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة؛ صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنه لا تفهم معانيها على الصحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب، وهذا ما لا يدفعه

---

(1) (تاريخ ابن خلدون - المقدمة) ١/ ٧٥٣.

أحد ممن نظر في أحاديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلامه»[1].

وقال أبو حيان - في معرض ثنائه على سيبويه -: «فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب سيبويه، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه»[2].

ولكن معرفة النحو وحدها لا تكفي لفهم كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل لابد من معرفة علوم العربية مجتمعة، فهي سلسلة متصلة، آخذ بعضها برقاب بعض، ولقد نبه كثير من العلماء إلى أهمية العناية بعلم البلاغة لمن أراد تفسير القرآن الكريم، فضلا عن علوم العربية الأخرى.

قال أبو حيان: «اعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحرا في علم اللسان، مترقيا منه إلى رتبة الإحسان... ولنبين أن علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط؛ كما يظنه بعض الناس؛ بل

---

(1) (الإيضاح في علل النحو) لأبي إسحاق الزجاج ص٩٥.

(2) (البحر المحيط) لأبي حيان ١/ ١١.

أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترىٰ نحويا بارعا في النظم والنثر؛ كما قل أن ترىٰ بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو.

وقد رأينا من ينسب إلىٰ الإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلا عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم علىٰ ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأنىٰ لمثل هذا أن يتعاطىٰ علم التفسير؟

ولله در أبي القاسم الزمخشري؛ حيث قال في خطبة كتابه في التفسير ما نصه: إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نُكَت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سِلْكها؛ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم؛ كما ذكر الجاحظ في نظم القرآن، فالفقيه وإن برز علىٰ الأقران في علم الفتاوىٰ والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحىٰ من سيبويه، واللغوي وإن عَلَك اللغات بقوة لَحْيَيْه؛

لا يتصدىٰ منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص علىٰ شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما: علم المعاني، وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته علىٰ تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص علىٰ استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات»[1].

هذا، ولقد رأيت في هذا الزمان كثيرا ممن يعتلون المنابر، وكثيرا من الذين يتصدرون لتدريس الفقه وغيره من العلوم الشرعية لا علم لهم بالعربية؛ حتىٰ حق لنا أن نتمثل بقول ابن المفضل المقدسي:

تـصدر للتـدريس كـل مهـوسٍ
بليـدٍ تـسمى بالفقيـه المـدرسِ
فحـق لأهـل العلـم أن يتمثلـوا
ببيـت قـديمٍ شـاع في كـل مجلـسِ

---

(1) (البحر المحيط في التفسير) لأبي حيان ١/ ١٧- ١٩.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها
كُلاها وحتى سامها كل مفلسِ

نعم، لقد هان أمر العلم على أهل هذا الزمان، وصار كل من قرأ كتابا أو حفظ شيئا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ صار شيخا يتكلم في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وصار له أتباع ومريدون يلتمسون العلم عنده، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من أشراط الساعة ثلاثا، إحداهن: أن يلتمس العلم عند الأصاغر»[1]،

(1) رواه ابن المبارك في (الزهد والرقائق)، باب: من طلب العلم لعرض من الدنيا، حديث رقم (٦١)، واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) عنه بلفظ: «إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر» ١/ ٩٥، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ١٣٧، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى معجم الطبراني الأوسط والكبير، وقال: «وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف» (١/ ١٣٥)، ولكن رواية ابن المبارك عنه مقبولة؛ لأنه حدث عنه قبل احتراق كتبه. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ٣٧٣ - ٣٧٩. وصححه الألباني كما في الصحيحة تحت رقم (٦٩٥).

وأما عن المراد بـ(الأصاغر) فقد قال ابن عبد البر: «قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم؛ فأما صغير يروي عن كبير؛ فليس بصغير». (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر ١/ ٦١٢، وقال اللالكائي: قال موسى: قال ابن المبارك: الأصاغر من أهل البدع». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي ١/ ٩٥.

وهذا أمر لا ينبغي السكوت عنه، فيجب على أهل العلم أن يتصدوا لهذا الخطل الذي مُنِيَت به هذه الأمة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.



العربية وعزة الأمة

إن من أعظم ما يحفظ للأمم قوتها وعزتها هو أن يستقل لسانها؛ وذلك لأنها إذا نطقت بلسان أمة أخرى فإنها تذوب فيها، وتكون تابعة لها؛ فتنمحي هويتها ويضيع تاريخها وتراثها «فإن الأمة العزيزة القوية هي التي تعتز بلغتها، وتعمل على فرضها وتحرص على استقلالها اللغوي؛ كما تحرص على استقلالها العسكري والاقتصادي تماما، وهي التي تحترم قوانينها اللغوية وتتمسك بأهدابها، والعكس صحيح، فالأمم الذليلة المستضعفة هي التي تفرط في لغتها؛ حتى تصبح أجنبية عنها مع أنها منسوبة إليها»(1).

ولقد أشار الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مثل هذا المعنى والرافعي من كبار الأدباء الذين أنجبتهم مصر أرض الكنانة ، قال: «هل أعجب من أن المجمع العلمي الفرنسي يؤذن في قومه بإبطال كلمة إنكليزية كانت في الألسنة من أثر الحرب الكبرى -أي: العالمية- ويوجب إسقاطها من اللغة

---

(1) (أهمية تعلم علم النحو ومكانته عند السلف) لأبي أنس أشرف بن يوسف ص ٦ .

جملة، وهي كلمة: (نظام الحصر البحري)، وكانت مما دخل على الفرنسيين من النكبات مع نكبة الحرب العظمى، فلما ذهبت تلك النكبات؛ رأى المجمع العلمي الفرنسي أن الكلمة الإنكليزية نكبة على اللغة الفرنسية يجب التخلص منها، ورآها كأنها جندي دولة أجنبية في أرض دولة مستقلة بشارته وسلاحه وعَلمه يعلن عن قهر أو غلبة أو استعباد! وهل فعلوا ذلك إلا أن التهاون يدعو بعضه إلى بعض، وأن الغفلة تبعث على ضعف الحفظ والتصون، وأن الاختلاط والاضطراب يجيء من الغفلة، والفساد يجتمع من الاختلاط والاضطراب. إنما الأمور بمقاديرها في ميزان الاصطلاح، لا بأوزانها في نفسها، فألف جندي أجنبي بأسلحتهم وذخيرتهم في أرض هالكة بأهلها، ربما كانو غوثا تفتحت به السماء، ولكن جنديا واحدا من هؤلاء في أمة قوية مستقلة، تنشق له الأرض، وتكاد السماء أن تقع»[1].

وقال في موضع آخر: «ما ذلت لغة شعب إلا ذلوا، ولا

---

(1) (تحت راية القرآن) للرافعي ص ٢١.

انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد:

أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يضعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع»[1].

وإن اللسان العربي هو شعار الإسلام وأهله، وهو أحكم عروة تربط بين المسلمين والعرب؛ ولذلك فإن أعداء الإسلام لما أرادوا القضاء على الإسلام عمدوا إلى شن حرب شرسة على اللغة العربية؛ لقطع المسلمين عن تراثهم، ولقطع تلك الرابطة المتينة وتلك الآصرة القوية بين المسلمين والعرب.

□□□

---

(1) (وحي القلم) للرافعي ٣/ ٢٧.

أعداء الأمة والعربية

لقد علم أعداء الإسلام أهمية اللغة العربية في حفظ هذا الدين، وفي الحفاظ على تماسك الأمة الإسلامية والعربية؛ لذلك عملوا جاهدين للقضاء على هذه اللغة أو إضعافها؛ وذلك لتمزيق الأمة الإسلامية وإبعادها عن التراث الإسلامي والعربي وقطع الصلة بينها وبينه، وبذلك يتم القضاء على دين الإسلام -كما يأملون- «وذلك لأن أحكم عروة كانت تربط العالم الإسلامي على اختلاف ألسنته وأجناسه في قارتي آسية وإفريقية، هي لغة العرب التي نزل بها القرآن، كما قال القس المبشر (زويمر) وكما أشار إلى بعض ذلك المؤرخ الإنكليزي (توينبي)»[1].

لقد كانت الحرب على اللغة العربية الفصحى منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك عن طريق الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، وكتابتها بالحروف اللاتينية، ودعني أبين لك كيف كان الأمر؛ لتكون على علم بخطط عدوك، ولتعلم أيضا أن الحرب لا تكون بالسلاح فقط، وإنما تكون كذلك بالدهاء

---

(1) (أباطيل وأسمار) للشيخ العلامة/ محمود شاكر ص ٢٠٤.

والمكر والخداع، و تكون أيضا بشراء الذمم.

إن أول من دعا إلى العامية هم الأجانب، ولم تكن دعوتهم مجرد دعايات وأقوال في الصحف والمجلات والإذاعة؛ بل كانت مشروعا كبيرا، أقيمت من أجله المدارس، وكتبت فيه المؤلفات، وأنا ألخصه لك من كتاب فريد في بابه، وهو (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر)[1].

---

(1) (هذا الكتاب) للدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد، وهو كتاب نافع جدا في بابه، فهو يبين كيف أن أعداء الأمة يعملون على هدم اللغة العربية، فيرد افتراءاتهم ويدحض شبههم، وقد أثنى عليه الشيخ العلامة محمود شاكر بما لا يجعلنا في حاجة إلى اقتضاب قول أو تكلف إسهاب لبيان فضله، قال: «... وهذا الكتاب النفيس من تأليف الدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد، المدرسة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية (الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، والجهد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب، جهد يدل على التجرد الصحيح السليم في طلب المعرفة، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة، وعلى النفاذ في إدراك الحقائق، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلال ولا ملل، ولا أظنني قرأت منذ سنوات طوال كتابا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة، بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة ما بذلت الدكتورة نفوسة في كتابها هذا، ولا أظنني قرأت أيضا في هذا الدهر كتابا ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأه من ألفه إلى يائه، يضارع هذا الكتاب، وحسبها أنها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد، بلا تزيد ولا كذب ولا ادعاء، عن

=

«لقد قام الأجانب بتدريس اللهجات العربية المحلية في مدارسهم وجامعاتهم، وأقيمت مدارس خاصة لتدريس العامية في: إيطالية والنمسة وفرنسة وألمانية وروسية والمجر وإنكلترة، ولقد ألفوا مؤلفات كثيرة للدعوة إلى العامية، والحط من اللغة العربية الفصحى، ومن هذه المؤلفات:

١- كتاب (قواعد العربية العامية في مصر) للدكتور ولهلم سبيتا:

يعتبر الدكتور ولهلم سبيتا هو الرائد الأول لكل من

أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، وهي معركة البناء أو الهدم، معركة الحياة أو الموت، معركة الحرية أو الاستعباد، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية واحدة، هي الفصحى، أو تفرق العرب والمسلمين أشتاتا بلغات متنابذة، هي العامية.

ولو كان لي من الأمر شيء، لأمرت أن يطبع هذا الكتاب؛ ليكون في يد كل شاب وشابة، وكل رجل وامرأة، ويكون له مختصر ميسر لكل من مكنه الله من القراءة، ولست أريد الإغراق في الثناء، وإخلاء الكتاب من كل عيب، ولكني أراه كتابا صالحا لكل مثقف، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقانا الله شرها باليقظة، فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة، فذلك ذل الأبد، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحده» (أباطيل وأسمار) للشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٢٥، ١٢٦.

كتب في العامية المصرية من الأجانب، ففي سنة (١٨٨٠م) وضع كتابا في الألمانية عن قواعد العربية العامية في مصر، ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، وانبعثت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى.

وفي هذا الكتاب - أيضا - وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية، تلك الحروف التي نودي باستخدامها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى.

ولقد قدم هذا الكتاب بمقدمة أشار فيها إلى سعة إلمامه بالعامية المصرية، وذكر الصعوبات التي صادفها عند دراسته لها، ثم اختتم هذه المقدمة بالفكرة التي راودته طويلا كما يقول، وهي اتخاذ العامية لغة أدبية، تلك الفكرة التي ذهب في تأييدها كل مذهب، تارة بالنيل من العربية الفصحى، وتارة بالإشادة بالعامية.

٢- كتاب (اللهجة العربية الحديثة في مصر) للدكتور كارل فولرس:

وضع الدكتور كارل فولرس سنة (١٨٩٠م) كتابا في الألمانية عن اللهجة العربية الحديثة في مصر وترجمه إلى الإنكليزية سنة (١٨٩٥م)، وقد نهج فيه نهج (سبيتا) فاستنبط

حروفا لاتينية لكتابة العامية، ودرس قواعدها، وأورد كثيرا من نصوصها.

وقدم لكتابه بمقدمة تكلم فيها عن اللهجات العربية الحديثة وتعددها بتعدد الأقطار التي انتشرت فيها العربية، وعن وجوب دراستها؛ لأنها - في زعمه - لا تمثل حالة انحطاط للغة العربية الفصحى، وإنما هي لهجات قديمة كان لها تاريخ ونمو منفصل يرجع إلى عصور بعيدة.

وأشار إلى اختلافها عن العربية الفصحى اختلافا يعتبره كليا، وإلى تمكنها من التسرب إلى ميدان الكتابة في مختلف العصور، وفي مختلف الأقطار.

ولم يفته في نهاية مقدمته أن يندد بجمود العربية الفصحى، ولقد شبهها باللاتينية الكلاسيكية، وشبه العلاقة التي بينها وبين اللهجة المصرية بالعلاقة التي بين اللاتينية الكلاسيكية والإيطالية الحديثة.

٣- كتاب (العربية المحكية في مصر) لسلدن ولمور:

وفي سنة (١٩٠١م) وضع ولمور القاضي الإنكليزي كتابا في الإنكليزية عن العامية المصرية بعنوان (العربية المحكية في مصر) اتجه فيه وجهة سبيتا في دراسة العامية المصرية، والدعوة

إلى كتابتها بحروف لاتينية، واتخاذها لغة أدبية.

وبدأ كتابة بمقدمة أثنى فيها على كتاب سبيتا (قواعد العربية العامية في مصر)، وانتقد الكتب التي ألفت في العامية قبل هذا الكتاب.

ثم أخذ بعد ذلك يردد الشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى تمهيدا للمناداة بنبذها والعدول عنها إلى العامية، ولقد زعم أن سبب انتشار الأمية هو صعوبة الفصحى، واتخاذها لغة للكتابة.

وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عن اللهجة المصرية، فنظر إليها على أنها لغة جديدة لها طابعها الخاص تختلف عن الفصحى تمام الاختلاف.

ثم أشار إلى الأضرار التي تنشأ عن اتخاذ لغة للأدب ولغة للحديث، وإلى الفوائد التي تترتب على الاقتصار على لغة واحدة، وهي بالطبع -في رأيه- لغة الحديث.

ثم أخذ الكاتب بعد هذا التمهيد الطويل يجهر بالدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية محاولا أن يوهم المصريين بأن معارضتهم لهذا الأمر سيعرضهم لخطر أكبر، وهو انقراض لغة

الحديث ولغة الأدب معا، وإحلال لغة أجنبية محلهما.

وحاول كذلك أن يدافع عن هذه العامية؛ ليغري المصريين بقبولها لغة للكتابة، ثم ذكر وسائل لتدعيمها.

٤ - كتاب (المقتضب في عربية مصر) لفيلوت وباول:

وفي سنة (١٩٢٦) اشترك (باول) وهو إنكليزي كان يعمل قاضيا بالمحاكم الأهلية بالقاهرة، اشترك هو وزميل له يدعى فيلوت وكان أستاذا للغات الشرقية في جامعة كمبردج وجامعة كلكتا، في وضع كتاب في الإنكليزية عن العامية المصرية بعنوان (المقتضب في عربية مصر)، ولقد اتجها في هذا الكتاب وجهة عملية لتسهيل دراسة العامية المصرية.

والكتاب مقسم إلى عدة أقسام: قسم للمفردات، وقسم للجمل، وقسم للنصوص.

أما المفردات والجمل فهي مكتوبة بحروف عربية، ثم بحروف لاتينية، مع ترجمة لها بالإنكليزية؛ مثل: (زيطة - zayta- noise) ، وأكثر الجمل من الأساليب المبتذلة لفظا ومعنى.

وأما النصوص فقد ترجم بعضها إلى الإنكليزية، وهذه النصوص عبارة عن: محاورات، وفكاهات، و(حواديت).

ولقد صدرا كتابهما بمقدمة أشارا فيها إلى رغبتهما في تسهيل اللغة المصرية، ولم يفتهما أن يرددا الشكوى من صعوبة الفصحى.

فهذه أربعة مؤلفات ألفها الأوربيون للدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية وكتابتها بحروف لاتينية، وقد وصلت إلينا متسترة تحت ستار البحث العلمي.

وفي خلال الفترة التي ألفت فيها هذه المؤلفات؛ كان وليم ولكوكس مهندس الري الإنكليزي الذي وفد إلى مصر سنة (١٨٨٢م)؛ لا يني عن محاربة الفصحى.

ولقد أيد ولكوكس الدعوة إلى العامية بما ألفه بالعامية وبما ترجمه إليها، وألقى محاضرة بعنوان (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن) زعم في تلك المحاضرة أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع؛ هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية؛ لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها.

وكتب ولكوكس -أيضا- رسالة بعنوان: (سورية ومصر ومالطة وشمال إفريقية تتكلم البونية لا العربية) زعم

فيها أن اللغة العامية هي اللغة الأصلية للمصريين، وأنها لا صلة لها باللغة العربية الفصحى، وأن اللغة العربية الفصحى لغة مصطنعة، يتعلمها المصري كلغة أجنبية، ثقيلة في كل شيء، وإن وصلت إلى الرأس فهي لا تصل أبدا إلى القلب، تقف عقبة في سبيل تقدم المصريين، حالت بين المصريين والابتكار، قضت على الطلبة النابهين من المصريين، هكذا قال!!

ولما قام الأجانب بنشر دعوتهم إلى اتخاذ العامية لغة للأدب؛ لم يجدوا أدبا لها يمكن الاعتماد عليه في دراستها، فقام بعضهم بتسجيل أدب العامة ونشره، وكان أكثره مما التقطوه من أفواه العامة من أزجال و(مواويل) وأغان شعبية و(حواديت).

ولقد قام وليم ولكوكس بعدة محاولات لإدخال العامية في نماذج علمية وأدبية رفيعة، فقام بترجمة الإنجيل، وقطعا من روايات شكسبير إلى العامية.

وقام بتأليف كتابا بالعامية بعنوان (الأكل والإيمان) ويحتوي هذا الكتاب على إرشادات صحية وفوائد طبية

مصطبغة بتعاليم الدين المسيحي.

وكان هدف ولكوكوس من هذا هو أن يشجع المصريين على مجاراته، فتتمكن العامية بذلك من اقتحام الميدان العلمي والأدبي، وتصبح لها أهمية قد تساعد -كما يأمل- في سرعة القضاء على الفصحى.

وكانت هذه المحاولات التي قام بها ولكوكس وغيره من الدعوة إلى العامية هي اللبنة الأولى في نشأة الصراع بين الفصحى والعامية في مصر وفي سائر البلاد العربية، فقد هاجم هذه الدعوة بعض، وأيدها آخرون، وأصبح لكل من العامية والفصحى أنصار وخصوم يشتد الصراع بينهم حينا ويهدأ حينا آخر.

ولقد اقترنت الدعوة إلى العامية بدعوة أخرى كانت غاية وهدفا لها، وهي الدعوة إلى التمصير أو (مصر للمصريين)؛ فإن الدعوة إلى العامية أنجح وسيلة لقطع مصر عن سائر الدول العربية والإسلامية؛ لذلك نادى دعاة التمصير باتخاذ العامية لغة أدبية.

وكان بدأ دعوة التمصير على يد رجل يدعى (أستاذ

الجيل) أو (منشئ الوطنية الحديثة) وهو أحمد لطفي السيد، وكان ممن دعا إلى اتخاذ العامة لغة أدبية، ولما فشلت دعوته إلى العامية نادى بدعوة أخرى وهي (التقريب بين الفصحى والعامية)[1]، وكان لهذه الدعوة -أيضا- معارضون ومؤيدون،

---

(1) وتتلخص فكرة هذا التقريب الذي دعا إليه في أمرين؛ الأول: أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية وإمرارها على الأوزان العربية بقدر الإمكان، فإن لم يكن لها ثمة أسماء فمن معاجم اللغة وكتب العلم؛ -لأن هذه عنده دون اللغة اليومية - فإن لم يكن لها وجود وضع لها الواضع ما شاء.

الثاني: استعمال الألفاظ والتراكيب العربية التي تلوكها ألسنة العوام؛ ما لم يشوه يستعمل على حاله، وما شوه يرد إلى أصله ويستعمل صحيحا.

وقد طبق الكاتب هذه الفكرة عمليا في كتاباته، فاتخذ الأسماء الأجنبية من لغة الحياة اليومية، واستعمل التراكيب والتعبيرات المصرية، ونشير هنا إلى مظاهرها فيما كتبه عن اللغة ؛ فهو يقول مثلا في دفاعه عن مبدئه في اتخاذ الأسماء الأجنبية من لغة الحياة اليومية: «الأسماء الجديدة ما لها؟ لو أخذناها بزي ما هيه، فنيت في لغتنا واتبعت أوزانها ... نحن نلبس أزياء المودة الغربية، ونستعمل ما تقدمه لنا الصناعة الأوربية من الآلات والماكينات ... نحن نعمل هذا كله ونعتبره بشير الرقي، فما بالنا لا نعتبر لغتنا كالعلم نزيد عليها كل جديد بمقدار الحاجة، وكالفن والصناعة والتجارة يزيد مقدارها بزيادة علاقتنا بالأمم الأخرى ... نحن نعمل ذلك بالفعل ولكننا ننكره بالقول، والأمة سائرة على هذا النمط من التطور فهي تعرف الكمبيالة ولا تعرف السفتجة، غير أن خمسة ستة من الكتاب أو عشرين ثلاثين من المترجمين

=

أما المعارضون فلم يخف عليهم ما انطوت عليه فكرة التقريب بين الفصحى والعامية من مناصرة العامية[1].

هذه الفكرة كان لها صدى كبير في مصر، وكان لها مؤيدون ومعارضون؛ أما المعارضون فلم يخف عليهم ما انطوت عليه فكرة التقريب بين الفصحى والعامية من مناصرة العامية، ومحاولة التدرج في رفعها إلى الاستعمال الكتابي بعد أن فشلت الدعوة إلى استعمالها خالصة والاستغناء بها عن الفصحى، وكان في مقدمة من عارضها وبين خطورتها مصطفى صادق الرافعي في مقال له بعنوان (تمصير اللغة)[2].

والمتعلمين هم الذين لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة ...» انظر (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد ص١٣٥، ١٣٦.

(1) وممن دعوا إلى التقريب بين الفصحى والعامية توفيق الحكيم، ومن أفضل ما قرأت في الرد على تلك الدعوة مقال بعنوان: (كاد النعام يطير) للعلامة محمود شاكر، وهو ضمن كتابه (أباطيل وأسمار).

(2) واعتمد الرافعي في معارضته على الأدلة الآتية:

١- أن شيوع هذه الفكرة في كل أمة عربية والأخذ بها يؤدي إلى انقراض الفصحى ومحوها.

٢- أن قاعدة التسامح في استعمال المفردات والتراكيب العاميه ستتسع في =

وكان من أكثر الأدباء تحمسا لفكرة تمصير الأدب لغة وموضوعا محمد تيمور، شغل طويلا بهذه الفكرة وجاهر بها وقام بتحقيقها، فأشاد باللغة المصرية في مقالة له بعنوان (الوطن) واتخذ في هذه المقالة الوطنية والقومية وسيلة لإقناع الناس بتمصير اللغة؛ حيث عبر عن تعلقه بالوطن الذي حدده

الأجيال القادمة إلى درجة تصير فيها الفصحى في كتابها الكريم ضربا من اللغات الأثرية.

٣- أن فكرة إحياء العربية باستعمال العامية تتعارض مع ما سنته لغة القرآن من تقييد اللهجات بها، ومحو لغات العرب جميعها على فصاحتها وردها إلى لغة واحدة هي اللغة القرشية، فكيف نعمل على تمزيق هذه الوحدة اللغوية التي ألفت بين قلوب العرب على دين واحد.

٤- أن هذه العامية لا تصلح في تراكيبها وصيغها للكتابة، وهي بعد لا وزن لها في كل ما ابتعدت به عن الفصيح؛ إلا في عبارات قليلة مما يكون أكبر حسنه أنه أخرج على نسق معروف في البلاغة العربية: كضرب المجاز والكناية وما إلى ذلك ... فما اختلافنا في لغة هي في طبيعتها اللغوية تأبى أن تكون أصلا وأن تعد لغة، ومهما جهدت بها لا تتحول إلا إلى أصلها المعروف المتميز، فإذا أريدت على غير ذلك التاثت واضطربت وفرت إلى الأسواق والسبل!

٥- أن الدعوة إلى تمصير اللغة نوع من أنواع العصبية الوطنية الممقوتة التي محاها الإسلام.

وانتهى الرافعي إلى القول بأن وسيلتنا في إحياء العربية هي نشر التعليم واستعمال الفصيح خالصا مأنوسا.

جغرافيا من الإسكندرية إلى أسوان ورجع به إلى أصوله التاريخية الفرعونية، وبين اعتزازه بكل سمة تميزه بها في ذلك لغته الحية ذات النغمة الخاصة التي تميز المصري عن السوري والمغربي؛ بل عن جميع سكان الأرض.

ولقد استخدم هذه اللغة المصرية التي أشاد بها في كتابة رواياته المسرحية[1] دون أن يعبأ بالخرق الذي أحدثه في اللغة الفصحى.

وقد أثرت نزعته إلى تمصير لغة الأدب القومي في مؤلفاته الأخرى، وخاصة النثرية التي كتبها باللغة العربية الفصحى، فجعلته يقحم بعض ألفاظ العامية وأمثالها في كتاباته[2]، وجعلته من ناحية أخرى لا يعنى بتقويم أسلوبه وتنميقه. وقد شاركه في نزعته إلى تمصير الأدب لغة وموضوعا كثير من الأدباء؛ منهم: شقيقه محمود تيمور، وحسين هيكل، وتوفيق الحكيم.

---

(1) هذه الروايات هي: (العصفور في قفص)، و(عبد الستار أفندي)، و(العشرة الطيبة)، و(الهاوية).

(2) ومن ذلك ما فعله قصصه القصيرة التي سماها (ما تراه العيون).

وكان من النقاد الذين أسهموا في توجيه الأدباء إلى إنشاء أدب قومي وكتابته بالعامية؛ عبد العزيز عبد الحق؛ فقد رأى أن الأدب القومي لا يمكن أن يتحقق؛ إلا إذا كتب باللغة القومية، وذلك في مقال له بعنوان (الأدب القومي).

واتخذ بعض المصريين حركة تيسير نحو العربية وتيسير كتابتها ذريعة للدعوة إلى العامية، والدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينة بالحروف العربية، وكان من هؤلاء عبد العزيز باشا فهمي أحد شيوخ مجمع اللغة العربية.

ولقد أثرت الدعوة إلى العامية في حركة تيسير النحو، فألف بعض المشتغلين بالعربية كتبا في تيسير النحو كان فيها خرق كبير لقواعد النحو، وإلغاء لبعض أبوابه(1).

---

(1) ومن هذا ما ذهب إليه الدكتور (شوقي ضيف) في كتابه (تجديد النحو)، فما أورده في هذا الكتاب فيه هدم لكثير من قواعد النحو؛ ومن ذلك أنه أراد أن يلغي باب (كان وأخواتها) وذلك بأن يعرب اسم كان وأخواتها فاعلا، وخبر كان وأخواتها حالا؛ ومنه أيضا ما ذهب إليه (حسن الشريف) في مقاله (تبسيط قواعد اللغة العربية) الذي نشر في الهلال، عدد أغسطس ١٩٣٨م، ص ١١٠٨ - ١١١٩؛ فقد نادى فيه بإلغاء الإعراب (ونادى بهذا أيضا قاسم أمين وسلامة موسى)، وإيثار كل لهجة توافق العامية (ونادى بهذا أيضا سلامة موسى)، وإلغاء بعض أبواب النحو؛ كموانع الصرف ونائب الفاعل وغير =

ذلك، وأحسبك تعجب كيف خفي على شوقي ضيف الفرق بين خبر كان والحال، وكيف خفي على (حسن الشريف) ومن وافقه؛ ما دعوا إليه من هدم العربية وقطع العلاقة بيننا وبين القرآن؛ فإن كان هذا ما تعجب منه، فإني أعجب من ظنك بهم هذا الظن؛ فإن (شوقي) ما كان يخفى عليه الفرق؛ بل كان يعلمه كما يعلم أن ما دون غد الليلة؛ فما كانت دعوته تلك وهلة سرت، ولا كلمة قالها عفو الخاطر في ليلة سمر، ولا مقالة أودعها ما خطر له على عجل دون روية وإمعان نظر؛ فلقد صنف في ذلك كتابا، وتصنيف الكتب يحتاج إلى بحث وتدقيق وإمعان للنظر وإجالة للفكر، ثم إن الفرق بينهما يعرفه الشادون في علوم العربية، فكيف بالأستاذ الدكتور.

إذن؛ لماذا يكتب (شوقي) كلاما لا يعتقد صحته، ويعلم أنه إذا وقف عليه الشادي في علوم العربية سخر منه؛ فهل كان شوقي من المحاربين للعربية، أو هل كان محاربا للدين الذي لغته العربية، أقول: لا هذا ولا ذاك، فما هو إلا دمية يحركها محرك، وكما يقول شيخ العربية العلامة محمود شاكر: «أما الدمية ... فليس لها فى ذاتها قيمة تذكر، وما دمية يحركها محرك، والدمى كاسمها دمى ثم لا تزيد، والشأن كل الشأن لمن فى يده خيوطها التى تحركها». (أباطيل وأسمار) ص١٢، ١٣، وأما (حسن الشريف) فقد جاء في كلامه ما يفيد أنه كان يعلم تبعات دعوته «فإنه لما شعر بغرابة قواعده الجديدة وبأنها يتعذر معها فعلا قراءة القرآن وتدبر معانيه، اقترح أن تكون لنا قواعدنا، وللقرآن قواعده التي ستكون معرفتها وقفا على المختصين في الدين وطلاب الدراسات العالية، ويرى أن جهلنا بهذه القواعد لن يضير إسلامنا؛ لأن هناك مسلمين لا يعرفون العربية ولا قواعدها» (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة/ نفوسة زكريا (بتصرف) ص٢٠١، ٢٠٢، وأما من وافقا حسن الشريف فلا

=

ولكن كل هذه الدعوات وهاتيك المحاولات ذهبت سدى، ولم تنجح في القضاء على الفصحى؛ وذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ قيض لها من يدافع عنها؛ كالرافعي، وشوقي، وحافظ إبراهيم، ومطران، واليازجي، وغيرهم. ولقد خمدت الدعوة إلى العامية بعد نزوح الاستعمار والاستشراق عن مصر» (1) ولله الحمد والمنة.

قال الدكتور/ محمد محمد حسين: «وقد أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها فأبرز خليل اليازجي في رده على اقتراح المقتطف سنة ١٨٨١م نقطتين؛ أولاهما: هي أن اتخاذ العامية لغة للكتابة فيه هدم بناية التصانيف العربية بأسرها، وإضاعة كثير من أتعاب المتقدمين، ثم تكلف مثلها في

إخالك لا تعلم أنهما كانا يريدان هدم العربية لهدم دين الإسلام، ويكفيك أن تعلم أن أحدهما كان الداعية الأول لتحرير المرأة، وهو قاسم أمين، وأن الآخر صليبي تعلم في لندن وكان رائدا للاشتراكية وداعية للعلمانية بمصر، وهو (سلامة موسى).

(1) انظر: كتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد.

المستقبل، وأما النقطة الأخرىٰ فهي أن عامة الناس وجهالهم يفهمون العربية الفصيحة ويتذوقونها، علىٰ غير ما يدعيه خصوم العربية، وكفانا من أمثلة ذلك ما يراه كل منا ويسمع به من ليال تحيا حتىٰ مطلع الفجر في قراءة الحكايات العربية، من نحو قصص عنترة، وكتاب ألف ليلة وليلة، وبعض الروايات المترجمة عن الإفرنجية، وكلها فصيحة العبارة، بمعنىٰ أنها ليست من لغة العامة في شيء، إلا ما هو من سقط الكتاب في بعضها، ومع ذلك فهي مفهومة من سامعيها، ولو كانوا من أجهل العامة، يتهافتون علىٰ سماعها ويحفظونها ويتناقلون وقائعها علىٰ ما هو مشهور، وذلك أن لغة العامة لا تباين الفصيح في غالب الأمر إلا من جهة الإعراب، وهو لا يقف في طريق المفهوم، وما لا يفهمونه من الغريب أو مما هو غريب بالنسبة إليهم، فلأكثره مرادفات من لسانهم من نفس الفصيح، وإذا اضطر الكاتب أحيانا إلىٰ إدراج شيء من ذلك الغريب في كلامه يمكن أن يبين بالقرينة، أو بتفسيره عطفا أو اعتراضا، وهو علىٰ كل حال قليل.

وأبرز (الهلال) في رده على أحد قرائه سنة ١٩٠٢م الأمور التالية:

١- أن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى؛ لمطالعة القرآن والحديث وسائر كتب الدين.

٢- أن اللغة العربية ليست غريبة على أفهام العامة، إلا إذا أريد التقعر واستخدام الألفاظ الغريبة، أما لغة الإنشاء العصرية فهي شائعة في الصحف والمجلات، يفهمها الخاصة والعامة.

٣- أنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية؛ لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرا من الفرق بين العربية الفصحى وفروعها العامية؛ فالعامي الإنكليزي والفرنسي مثلا ينظر إلى اللاتينية نظره إلى لغة غريبة، أما العامي العربي فإنه يفهم اللغة العربية الفصحى، وإذا فاته فهم بعض الألفاظ فإن المعنى الإجمالي يندر أن يفوته.

٤- أن الزعم بأن اللغة العربية بدع في اللغات بامتياز اللغة المكتوبة فيها عن اللغة المحكية زعم باطل، فالإنكليز يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم، يسمونها لغة علمية، فالعامي من الفرنسيين لا يفهم أبحاث (رينان)

في فلسفة التاريخ، والعامي الإنكليزي لا يفهم ما كتبه (سبنسر) في فلسفة العمران، والعامي من الألمان لا يفهم ما كتبه (شوبنهور) في فلسفة الوجود.

٥- أن الذاهبين إلى أن تتخذ كل أمة عربية لهجتها العامية هم القائلون بانحلال العالم العربي وتشتيت شمل الناطقين بالعربية، فإن أمم أوروبة لم يهملوا اللغة اللاتينية ويستبدلوها؛ إلا بعد أن أصبحت كل أمة منهم دولة مستقلة يهمها الانفصال عن جيرانها أكثر مما يهمها الانضمام إليهم، لما يقتضيه طلب الاستقلال من المنافسة لمسابقيه، ونحن نتعهد للمستر ولمور أن الأمم العربية حالما تصير دولا مستقلة، ويصير كل منها في غنى عن الأمم الأخرى لا تستنكف من حصر اللغة الفصحى بالكتب الدينية!! أما الآن فقد كفانا من المصائب ما نتحمله من إهمال الحكومة المصرية للغة العربية في مدارسها، وإغفال هذه اللغة في أشهر مدارس سورية الكبرى، ويكفي للشرق ما يعتوره من أسباب الشقاق، حتى لم يبق جامعة غير هذه اللغة؛ فبالله إلا أبقيتم عليها!!»[1].

---

(1) (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) للدكتور/ محمد محمد حسين =

لم ينجح أعداء الإسلام -إذن- في استبدال العامية بالفصحى؛ ولكن عبيدهم نجحوا في إضعاف هذه اللغة، وذلك بوسائل خبيثة لا يتفطن لها إلا أصحاب اليقظة التامة؛ إذ إنها خفية تنساب كما ينساب من مكمنه الأرقم[1]، وهي وسائل لمستها بنفسي، ووجدت آثارها يوما على عقلي ووجداني، ومن هذه الوسائل:

أولا: الحط من شأن من يقوم بتدريس اللغة العربية، وذلك عن طريق منبر السوءات[2] (الإعلام الفاسد)، فلقد رأيت غير مرة ولا مرتين مدرس اللغة العربية فيما يعرض على (التلفاز) يظهر في صورة المغفل الساذج، وغالبا ما يكون رث

٢/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(1) الأرقم: نوع من الحيات.

(2) أخذت هذه التسمية من شعر لأبي العلاء المعري، فقد قال:

عش مجبرا أو غير مجبر فلخلق مربوب مدبر
والخير يهمس بينهم ويقام للسوءات منبر

وأية سوأة أقبح من آلة تعرض العري والفحش والمجون والخلاعة ليلا ونهارا، ولو انتهى الأمر إلى هذا الحد؛ لكفى به إثما مبينا، ولكن زاد على هذا محاربة الدين وتشويه التاريخ وتزوير العناوين، وللباطل منابر كثيرة ربما يكون لنا معها وقفات؛ ولكن هذا المنبر هو أكثرها شرا وفسادا.

الهيئة، أو يلبس ملابس لا تناسب العصر الذي يعيش فيه، وأحيانا تراه ينطق ألفاظ العربية بطريقة مضحكة أو منفرة؛ وذلك للاستهزاء به وباللغة التي ينطقها. وهذا كله يغرس في أذهان الناشئة الذين يداومون على مشاهدة (التلفاز) ولا يجدون من ينبههم إلى مثل هذا التشويه والتضليل[1].

ثانيا: إلهاء الناشئة بالأغاني التافهة التي تتألف من كلمات في غاية الركاكة والسخف، كأغنية هذا الذي يتغنى بحب الحمار، وأغنية (أوم آلف وانتى بتكلمني)، وأغنية (عسليه نزلي السبت)، وأغنية (الواد ألبه بيوجعه)، وغير ذلك مما تستك[2] منه المسامع.

ثالثا: عدم الاهتمام باللغة العربية في المدارس والجامعات، ولا أدل على ذلك من أنها تشرح باللهجة العامية.

رابعا: التحدث باللهجة العامية في برامج التلفاز (المعلم الأول في مصر)، وكذلك في المسلسلات والمسرحيات مع

---

(1) من الأعمال التي تجلى فيها الاستهزاء بالعربية وبمن يقوم بتدريسها؛ فيلم (غزل البنات)، وفيلم (السفيرة عزيزة)، وفيلم (رمضان مبروك أبو العلمين حمودة).

(2) استكت مسامعه: صم.

ترقيع العامية ببعض الكلمات الأجنبية إعلاء لشأن اللغات الأجنبية، وإيهاما للناشئة بأنها أرفع قدرا وأعلى شأنا.

خامسا: عدم تعريب العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية؛ مما أدى إلى جريان كثير من الكلمات والمصطلحات الأجنبية على لساننا.

سادسا: إفساد الذوق السليم لطلاب العربية؛ بوسائل منها:

إقحام المناهج الأدبية والنقدية الغربية في ميدان طلاب العربية، وهي مناهج تتنافى مع ديننا وثقافتنا وليس في دراستها أية فائدة، قال الدكتور/ وليد قصاب: «ولكن النقد الأدبي الحديث اليوم - وهو نقد غربي - مأزوم مؤوف بالعلل التي ذكرناها وبكثير غيرها...، يشتكى من عبثية بعضه ولا معقوليته، ومن جموحه وشططه، ومن ديكتاتوريته وأحاديته، ويشتكى من غموضه وعتمته، ومن عدم تأثيره وجدواه، ومن مماحكاته اللفظية العبثية، وتلاعبه بالنصوص ودلالتها، ويشتكى من غربته عن طلبة العلم؛ بل عن أساتذتهم المتخصصين أنفسهم.

وأما ما يسمى (النقد العربي الحديث) فإنه ورث عن

النقد الغربي الذي يقلد سننه (حذو القذة بالقذة) هذه الآفات جميعا، وحمل فوقها أوزارا كثيرة نتجت عن:

١- أن هذا النقد المحتذىٰ هو نتاج فكري غربي صادر عن حضارة غير حضارتنا؛ ولذلك فإن الأبده من البدهي أن يكون ملوثا برؤىٰ وتصورات وفلسفات تخالف رؤانا وتصوراتنا الإسلامية والعربية.

٢- أن هذا النقد الغربي مستمد من الأدب الغربي، وهو أدب ذو نكهة ومذاق ورؤية مضمونية وفنية يخالف كثير منها ما هو معروف في أدبنا العربي والإسلامي.

٣-أن العيش علىٰ مائدة الآخر هو نوع من التلاشي فيه، والغرق في يمه، هو ضرب من الانمساخ أمامه، والانبهار به، وفي ذلك كله ما لا يليق بحق العقيدة، ولا الهوية، ولا الكرامة الإنسانية...»[1].

الدعوة إلى تحطيم الشعر العربي:

فقد دعا الحداثيون الأدباءَ إلىٰ التحرر في استعمال اللغة وعدم التقيد بالعربية الفصحىٰ، فقد قال لويس عوض:

---

(1) (مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية) د. وليد قصاب ص١٠.

«حطموا الشعر!! لقد مات الشعر العربي عام ١٩٣٣م، مات بموت أحمد شوقي»[1].

وقال الدكتور/ عمر موسى باشا: «إن مفهوم الحداثة في الأدب يعني حرية الأديب فيما يختص باستخدام اللغة، وأن للأديب الحرية الكاملة في استخدام اللغة العامية المحلية، ونحن نعترض على إطلاق هذه الحرية ما دامت تصدع صرح اللغة العربية»[2].

وما كانت هذه الدعوة إلا لإبعاد الناس عن العربية الفصحى، وقد قال الدكتور/ محمد محمد حسين عن هذا الأدب: «هو امتداد للدعوة إلى استبدال اللهجات المحلية العامية مكان اللغة الفصحى»[3].

«وقد احتفلت الصحافة العربية بالشعر العامي، وأفسحت له المجال، وأبرزت أمثال صلاح جاهين والأبنودي وغيرهم، وكان ذلك على حساب الفصحى وعلى حساب الكلمة البليغة والمعنى الرفيع، فما تناول هؤلاء إلا معاني

---

(1) تيارات مسمومة ص ٢٠١.

(2) السابق ص٢٧٢.

(3) السابق ص٢٥٠.

ساذجة وجروا على طريق أعوج مضلل، فما كانت العامية قادرة على أداء المشاعر، وما كان الشعر العامي إلا مثلا متدنيا للأفكار العامية والتافهة. لقد كانت دعوة الشعر العامي كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربي، وكان دعاتها يبطنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغريب والشعوبية»(١).

الاهتمام بالفلكلور: «ويستهدف الفلكلور أو ما يسمونه التراث الشعبي إلى جمع بعض الأغاني والمواويل والأمثال الساذجة التي تمثل طفولة البشرية؛ سواء في الأفراح أو في الأحزان»(٢)، ويدرس هذا الفلكلور لطلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب، فيقال: مادة الفلكلور، وأستاذ الفلكلور، وامتحان الفلكور!! ويكفيك من شر سماعه.

سابعا: الزج بالعلوم اللغوية الغربية في مناهج اللغة العربية، وإجبار الطلاب على دراستها، وهذه العلوم اللغوية الغربية منها ما هو مترجم، ومنها ما هو غير مترجم، والمترجم

---

(1) (الصحافة والأقلام المسمومة) لأنور الجندي ص١٧١.

(2) (الصحافة والأقلام المسمومة) لأنور الجندي ص١٧١، ١٧٢.

منها ترجمته في غالب الأحيان في غاية الركاكة، على الرغم من أن المترجمين من أساتذة اللغة العربية!!

أعلم أن هذا مما يدعو إلى العجب، وأعجب منه أن تعلم أن مجمع اللغة العربية كان به كثيرون يحاربون اللغة العربية الفصحى[1]. ولله در ابن شرف الأندلسي؛ إذ يقول:

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد

وإنني أرى أن هؤلاء المترجمين من الأساتذة لم يتضلعوا بالعربية ولم يبلغوا من اللغات الأجنبية مبلغا يؤهلهم للترجمة؛ ولذا كان أشبه شيء بحال هؤلاء ما قاله المنفلوطي في المترجمين

---

(1) من هؤلاء: أحمد لطفي السيد، وعيسى إسكندر المعلوف، وعبد العزيز باشا فهمي، وشوقي ضيف؛ أما أحمد لطفي السيد وعيسى إسكندر المعلوف؛ فكانا يدعوان إلى استبدال العامية بالفصحى، وأما عبد العزيز باشا فهمي؛ فكان يدعو إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وأما شوقي ضيف فكان يدعو إلى تجديد النحو وتيسيره بما يهدم كثيرا من قواعد العربية، فهؤلاء أربعة اختلفت طرقهم في هدم العربية، فخرج من المجمع من يحارب العربية بكل سبيل.

الأعاجم، فقد قال: «...وإما أعجمي يظن أن اللغة العربية حروف وكلمات، وهو لا يعرف منها غيرهما، فينطق بشيء هو أشبه الأشياء بما يترجمه بعض المترجمين من اللغات الأعجمية ترجمة حرفية، فإن نعيت عليه غرابة أسلوبه واستعجامه والتواءه على الفهم؛ كان مبلغ ما ينضح به عن نفسه أن المعاني العصرية والخيالات الحديثة لا يستطاع إلباسها الأكيسة البدوية، والأردية العربية، كأنما هو يظن أن المعاني والخواطر خطط وأقسام، وبقاع وضياع، هذا للشرق وهذا للغرب، وهذا للعرب وهذا للعجم.

أما الحقيقة التي لا ريب فيها فهي أن الرجل لا ينتزع تلك المعاني من قرارة نفسه، ولا يصور فيها صورة عقله، وإنما هو مترجم قد عثر بتلك المعاني في اللغة الأعجمية التي يعرفها لاصقة بأثوابها الأصلية، فلما أراد أن يفضي بها إلى العرب، وكان غير مضطلع بلغتهم، ولا متمكن من أساليبهم عجز عن أن ينزع عنها أثوابها اللاصقة بها، فنقلها إليهم كما هي إلا ما كان من تبديل حرف بحرف أو كلمة بأخرى، من حيث يظن أنه يهتف بشيء قام في نفسه أو يفضي بخاطر من خواطر

قلبه»[1].

ولقد قرأت نصا من تلك النصوص المترجمة على أستاذ كان يدرسها لنا ليعلق عليه - وكان هذا امتحانا له على عادتي في امتحان الناس-، فما كان منه إلا أن فغر فاه وأنهى المحاضرة.

وهذه العلوم تدرس - في زعم من جهل تراثه - لأن فيها نظريات سبق الغربيون إلى وضعها، وبها علوم ومعارف جديدة لابد من الوقوف عليها، ولا أحد يعرف تلك النظريات وهاتيك العلوم والمعارف مثل أستاذنا الذي سافر إلى أوربة، وأخذ تلك النظريات وهاتيك العلوم والمعارف من معدنها، وأما تراث العربية - على ما تلوكه ألسنتهم - فقد قتل بحثا!!

وكيف يؤمل الإنسان رشدا
وما ينفك متبعا هواه
يظن بنفسه شرفا وقدرا
كأن الله لم يخلق سواه

(1) (النظرات) للمنفلوطي ١/ ١٥.

فما تلك المزاعم إلا هراء يستخفون به عقول الناشئة، فلقد درست هذه العلوم فما وجدت لها ثمرة إلا تضييع الوقت والجهد، وكل ما كان فيها من شيء نافع فإنما هو من باب (هذه بضاعتنا ردت إلينا)، بل إن ما كتبوه مما جاء في تراثنا؛ لا يصح أبدا أن يوازن بعشر معشاره، ولست وحدي من ذهب إلى هذا؛ فقد أقر به المنصفون ممن يدرس تلك المناهج في الجامعة.

ثامنا: هروع كثير من العرب - خاصة المصريين - إلى تعلم اللغات الأجنبية وإهمال اللغة العربية الفصحى، وكان لذلك أسباب منها:

١- النظر إلى الغرب نظرة إجلال وتعظيم، ولقد كان للإعلام دور كبير في هذا الأمر.

٢- إجبار الطلبة في المدارس والجامعات على إتقان اللغات الأجنبية، فإنه يجب على طلاب الدراسات العليا أن يجوزوا امتحان (التويفل) في اللغة الإنكليزية أو الألمانية.

٣- الرغبة في الحصول على العمل، ولأن كثيرا من

الشركات تشترط إتقان اللغة الإنكليزية فيمن يريد العمل بها؛ فإنه يجب على من أراد أن العمل في هذه الشركات أن يتعلم تلك اللغة.

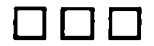
٤- الرغبة في السفر إلى البلاد الأجنبية بحثا عن مصدر للعيش.

وكل هذا أدى إلى إضعاف اللغة العربية الفصحى حتى صار أكثر القوم كالأعاجم، لا يفهمون من تلك اللغة إلا ما يفهمه الأعجمي الذي درسها سنة أوسنتين.

فها أنت قد علمت أهمية اللغة العربية الفصحى ودورها في الحفاظ على الإسلام، وعلى تماسك هذه الأمة، وقد بان لك ما رامه أعداء الإسلام من القضاء على هذه اللغة، وأنت تزعم أنك محب لهذا الدين، وتريد له الظهور والغلبة، وأنا أصدقك في هذا؛ ولكن اعلم أنه ينبغي عليك - والحال هذه - أن تسعى جاهدا للعمل لإحياء هذه اللغة حتى تكون لسان المسلمين بدلا من العامية، وأنا بهذا لا أكلفك شططا، فإنني أعلم أن هذا الأمر لن يحدث بين عشية وضحاها؛ ولكنه أمر يحتاج إلى سنوات طوال، ويحتاج - أيضا - إلى جهد وعزم ومثابرة، ولكن الأمر كما

جاء به المثل الدارج (رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة)، ونحن لم نبدأ بتلك الخطوة بعد، وأنا لا أطمع إلا في أن نشمر عن ساعد الجد ونبدأ تلك الرحلة، ونخطو معا الخطوة الأولى، والأمر كما قال أبو الطيب المتنبي:

على قدر أهل العـزم تـأتي العـزائم
وتـأتي عـلى قـدر الكـرام المكـارم
وتعظم في عـين الـصغير صـغارها
وتـصغر في عـين العظـيم العظـائم



تعلم من هذا اليهودي

في الوقت الذي كانت فيه الدعوة إلى العامية في مصر في أوج قوتها؛ وكانت تجد من المصريين كثيرا من الدعاة والمؤيدين، أحيا رجل يهودي اللغة العبرية التي كانت ميتة، وفي خمسين سنة لا أكثر صارت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية لإسرائيل بعد موت دام قرونا عديدة، وأنا لا أعجب من يقظة هذا الرجل؛ ولكن الذي أعجب له هو غفلة أقوامنا التي جرت علينا الذل والخزي والعار.

لقد أراد هذا الرجل أن يحيا شعبه حياة العزة والكرامة، وعلم أن نهضة هذا الشعب اليهودي لن تكون إلا بأن يتماسك، ولن يكون ذلك حتى تتوحد لغة هذا الشعب؛ لذلك سعى سعيا حثيثا حتى يجمع اليهود على لغة واحدة، هي اللغة العبرية، وكان هذا الأمر صعبا للغاية؛ لأن هذه اللغة كانت ميتة لا يتكلم بها أحد من اليهود، وحتى تدرك صعوبة هذا الأمر لابد أن تعلم أن اليهود اتهموه بالجنون في بداية جهره بالدعوة إلى التحدث بالعبرية.

وبعد أظن أنك متشوق إلى أن تعرف قصة هذا الرجل

مع تلك اللغة، وهاك هي: «لقد كان في بلاد الروس شاب يهودي يدعىٰ (أليعازر بن يهودا)، وقد كان (يهودا) يرىٰ الشعوب المضطهدة كالصرب والبلغار وغيرهم من الشعوب، وهم يتخلصون من ظلم مضطهديهم، ويحققون استقلالهم، فبعث هذا فيه الوعي القومي، فكان يتأسف ويتألم لحال شعبه.

وقد اتخذ الشاب اليهودي قراره؛ حيث قال في قرارة نفسه: (يجب أن تكون لليهود دولة، وكذلك يجب أن يستقل لسانهم، فتكون لهم لغة خاصة يتكلمون بها كسائر الشعوب، وهذه اللغة ستكون اللغة العبرية، لغة الأجداد).

رفع (يهودا) شعار (لا حياة لأمة بدون لغة) وبدأ في تعلم اللغة العبرية، وبعد أن تعلمها، سافر إلىٰ باريس في عام ١٨٧٨م، وفي باريس عمل (يهودا) علىٰ نشر أفكاره في يهود باريس؛ ولكنه لقي منهم معارضة شديدة، ولقد وصل الأمر إلىٰ أن اتهم بالجنون؛ وذلك لأن هذه اللغة كانت ميتة، فرأىٰ اليهود أن إحياءها أمر عسير؛ ولكن لم يكن هذا ليرده عما عزم عليه، فعمل وحده ليحقق الأمل الذي عاش من أجله.

وفي عام (١٨٨١م) تزوج (يهودا) من ابنة معلمه، وسافرا معا إلىٰ فلسطين، وهما في السفينة كان (يهودا) يعلم

زوجته اللغة العبرية، وحين وصولهما إلى فلسطين كانت زوجته قد تعلمت بعض الكلمات من تلك اللغة، فقال لها: (من الآن سوف نتكلم باللغة العبرية فقط). ولكن لم تكن زوجته أتقنت اللغة العبرية بعد، فحاولت مرارا وتكرارا إقناع زوجها بالعدول عن رأيه، ولكن بلا جدوى، فقد أصر (يهودا) على قراره.

وأنجب (يهودا) أولادا في فلسطين، ولم يكن يتحدث معهم إلا بالعبرية، فنشأوا لا يعرفون إلا هذه اللغة، ولذلك فقد كانوا يعرفون بين الناس بـ(ـالخرس)؛ ولكن هؤلاء الذين كانوا يلقبون بـ(ـالخرس) أحيوا لغة ميتة، وصار لليهود لغة خاصة، شأنهم في هذا شأن بقية الشعوب في العالم.

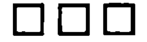
وكان (يهودا) دؤوبا في الدعوة إلى التحدث بالعبرية، فقد كان يمر على اليهودي الذي يتكلم بغير العبرية فيقول له: (تكلم بالعبرية يا يهودي). وقد أصدر (يهودا) في القدس صحفا بالعبرية للكبار والصغار، دعا فيها إلى إحياء اللغة العبرية واستعمالها للتخاطب، وأسس رابطة للمتكلمين بالعبرية، فصارت داره منتدى يأمه الشباب اليهودي المثقف الطامح إلى النهضة وإلى إحياء اللغة.

ولقد أنجز ابن يهودا مشروعا ضخما فقد ألف معجما ضخما للغة العبرية القديمة والجديدة، وانكب ينقب بدون كلل أو ملل عن كنوز اللغة في كتب الأقدمين في العهد القديم والتلمود، وفي الأدب العبري الذي نشأ في بلاد الأندلس وفي اللغات السامية التي استقى منها ألفاظا ومصطلحات وجذورا وجعلها صالحة للاستعمال في لغة التخاطب والكتابة، ولما أعوزته الحاجة إلى مصطلحات ضرورية في الحياة اليومية؛ قام بابتكار تلك المصطلحات بعد الرجوع والبحث في اللغة العبرية وبقية اللغات السامية؛ وبهذا أتم ابن يهودا تسعة مجلدات، تعرف اليوم بـ(ـالقاموس العبري الكبير) الذي يضم ستة عشر مجلدا.

وعندما أدرك اليهود الجهد الذي قام به ابن يهودا انتخوا وبدءوا بإنشاء المدارس الحديثة؛ ليتلقى فيها الطلاب دروسهم وفق أسلوب تربوي حديث؛ حيث يتدرج فيه التعليم تدرجا تربويا وتحتوي مناهج التعليم في المدرسة الحديثة القراءة الموضحة وقواعد اللغة ودراسة العهد القديم والهاكاداه والمشنا والكاماراه وتاريخ بني إسرائيل والجغرافية والرياضيات

والطبيعيات، وكانت لغة التدريس هي العبرية وحدها»[1].

وبعد ألسنا أولى بهذه اليقظة !! أما آن أن تكون اللغة العربية الفصحى هي لغة التخاطب!! إنه ليس أمرا عسيرا، ولكنه يحتاج إلى رجال صادقين أوفياء. والله المستعان والموفق.



---

(1) (تعلم من العازر بن يهودا) نص منشور على الشبكة العالمية، في موقع شبكة الفصيح الفصيح لعلوم اللغة العربية .

الرابط: http://www.alfaseeh.net/vb/archive/index.php/t-25755.html .

خطة عملية لإحياء الفصحى

إن أفضل وسيلة وأيسر طريق لتعليم الناشئة اللغة العربية هو اعتياد التخاطب بها، والسماع إلى من يتحدث بها، وحفظ ما تيسر من كلام العرب، ولست أول من قال بهذا؛ فقد سبق إليه كثيرون، قال ابن خلدون: «والسمع أبو الملكات اللسانية»[1]، وقال- أيضا -: «الفصل الواحد والخمسون في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل للمستعربين من العجم:

اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان، وقد مر تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب؛ حصلت له الملكة في نظم الكلام على

(1) (تاريخ ابن خلدون - المقدمة) ١/ ٧٥٤.

ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر؛ بل وبغير فكر، إلا بما استفاد من حصول هذه الملكة؛ فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل؛ ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع؛ وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع. وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه؛ وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها، وقد مر ذلك. وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم. ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة؛ لما قدر عليه، ولا وافقه عليه لسانه؛ لأنه

لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده. وإذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية؛ فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء. وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم. ومثاله: لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربي في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها؛ وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه، وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك؛ بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربي بين أجيالهم. والقوانين بمعزل عن هذا...»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام، ولغة القرآن،

---

(1) (تاريخ ابن خلدون - المقدمة) ١/ ٧٧٥، ٧٧٦.

حتىٰ يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق أو للأمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه؛ فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم؛ ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية، عودوا أهل هذه البلاد العربية حتىٰ غلبت علىٰ أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديما، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية؛ حتىٰ غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه.

وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتىٰ يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل علىٰ أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلىٰ أخرىٰ فإنه يصعب عليه»[1].

---

(1) (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية ١/ ٥٢٦.

وهناك أفكار ومقترحات أرى أننا إذا عملنا بها فإننا سنصل ـ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ـ إلى ذلك الهدف السامي وتلك الغاية المنشودة، وهذه الأفكار والمقترحات هي:

١- عرض هذه القضية على العلماء الكبار الذين لهم اهتمام بالعربية؛ للإسهام في العمل على نجاحها.

٢- دعوة طلاب العلم الشرعي إلى الاهتمام بعلوم العربية، وإلى التخاطب بها ما أمكن ذلك.

٣- دعوة طلاب العلم الشرعي إلى عدم الاستماع إلى الذين يلقون الدروس بالعامية من الدعاة والشيوخ، وكذلك عدم الاستماع إلى الذين يلحنون كثيرا في الخطب والدروس.

٤- إقامة مدارس ومعاهد خاصة لتعليم علوم العربية، ولا يقوم على التدريس فيها إلا أكفأ المدرسين.

٥- إلزام المدرسين في تلك المدارس والمعاهد بمخاطبة الطلاب ، ومخاطبة بعضهم بعضا باللغة العربية الفصحى.

٦- أن يكون القائمون على إدارة تلك المدارس وتلك المعاهد من المتخصصين في اللغة العربية.

٧- منع الخطباء الذين لا علم لهم بالعربية - وكثير ما

هم - من الخطابة حتى يحصلوا على إجازة في اللغة العربية، وهذا ليس أمرا صعبا.

٨- إقامة مسابقات وندوات ثقافية في علوم العربية، وكذلك إقامة المنتديات الشعرية التي يلتزم فيها الشعراء بالفصحى وبالوزن والقافية.

٩- شرح كتب في فنون العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب على القنوات الفضائية.

١٠- تخصيص صفحة في الجرائد والمجلات للتعريف بالأدباء الكبار؛ أمثال: الرافعي والمنفلوطي والعقاد ومحمود شاكر وغيرهم، ونشر مقالات لهم تناسب واقع الناس.

١١- أن يكون القائم على مراجعة الكتب والمجلات والجرائد أناس على دراية كبيرة باللغة العربية.

١٢- رفع أجر الذين يعملون في مجال اللغة العربية عامة، وفي تدريسها خاصة.

١٣- العمل على تعليم العربية للنشء، وأن يبدأ ذلك من مرحلة الحضانة؛ حتى يشب النشء على حب هذه اللغة.

١٤- إقامة (برامج كارتونية) للأطفال باللغة العربية الفصحى، وكذلك تأليف أناشيد للأطفال بالعربية الفصحى.

١٥ - ينبغي على كل من كان على علم بالعربية أن يعلمها لأبنائه ولأهل بيته، وأن يتحدث بها إليهم حتى تكون لهم كالسليقة.

١٦ - تعريب المفردات والتعبيرات التي جرت على لساننا إلى العربية، والتحدث بها مع الناس؛ حتى يألفوها وتجري على لسانهم؛ وإن اللغة العربية لغة واسعة وغنية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه»[1].

فاللغة العربية لا تضيق عن أسماء المخترعات الحديثة، ولقد اتهمت بهذا قديما، فدافع عنها الشاعر حافظ إبراهيم دفاعا قويا، وبين أن اللغة العربية لغة غنية، وقام بدعوة أبناء العربية إلى إيجاد أسماء للمخترعات الحديثة، وذلك حتى لا تجري على لسانهم لغة غير لغتهم، فقال - على لسان العربية -:

---

(1) (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ٤/ ٣٦٥، ٣٦٦.

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
عقمت فلم أجزع لقول عداتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
ولدت ولما لم أجد لعرائسي
رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوما علمتم
بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما
يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته
لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
حياء بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنيني بغير أناة

وأسـمع للكُتَّـاب في مـصر ضجة
فـأعلم أن الـصائحين نعـاتي
أيهجـرني قـومي عفـا الله عـنهم
إلى لغـة لم تتـصل بـرواة
سرت لوثة الإفرنج فيها كـما سرى
لعـاب الأفـاعي في مـسيل فـرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مـشكلة الألـوان مختلفـات
إلى معشر الكتـاب والجمـع حافـل
بسطت رجائي بعـد بسط شـكاتي
فإمـا حيـاة تبعـث الميـت في الـبلى
وتنبـت في تلـك الرمـوس رفـاتي
وإمـا ممـات لا قيامـة بعـده
ممـات لعمـري لم يقـس بممـات

«ودافع حافظ عن اللغة العربية أيضا في مقدمة كتاب (البؤساء) فعرض في سخرية بالأدباء الحديثين الذين عجزوا

عن وصف ما جَدَّ من المخترعات الحديثة على حين استطاع البدوي أن يسبغ على ناقته أبلغ الصفات، مبينا أن تخلف لغتنا عن وصف المخترعات الحديثة لا يرجع إلى قصور ذاتي فيها؛ وإنما يرجع إلى الجهل بها»[1].

يقول: «تباركت أسماؤك اللهم ! أيدعى البعير - وهو ذلك المركب الخشن - بهذه الأسماء التي تضيق عنها بطون الكتب، وهذه مراكب البخار والكهرباء لا تكاد تجد لأسمائها مرادفا في هذه اللغة ؟ فما عسى أن تكون حالنا بجانب ذلك العربي الذي يقول في وصفه عيشه:

الأبيضان أبردا عظامي　　　　الماء والفت بلا إدام

وهو فوق راحلته على قتب يكاد يدمي عجانه تحت شمس تكاد تأكل ظلها في مفازة. إذا أردته أن يصف تلك الراحلة العجفاء، فأرهف بالقول وسرد من الوصف ما يبلغ حد الإعجاز. وأردتنا على أن نصف ونحن نستطيب من صنوف الطعام ما يضيق به صدر الخوان ونتبوأ أريكة (الأتوموبيل) تحت الظل الظليل في محارف ضفاف النيل على

---

(١) (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد ص٣٥٧.

فراش وثير ومتكأ من حرير بين نسيم عليل وماء سلسبيل، ذلك المركب الذلول لا تلحق به صنافات الخيول، فوقفنا أمامك موقف الحائر لا نعرف له اسما يدل على مسماه، ولا مرادفا في اللغة يؤدي معناه، فخذوا أيها القادرون على الاصطلاح بيد اللغة، وانظروا كم أدخل فيها آباؤكم من كلمة فارسية، وهذا كتاب الله بين أيديكم يأذن لكم بما ندعوكم إليه. وهذا باب الاشتقاق وباب النحت لا يزالان بحمد الله مفتوحين لم يصبهما ما أصاب الاجتهاد فادخلوا منهما آمنين»[1].

هذا، وقد جرت على ألسنتنا كثير من المفردات والتعبيرات الأجنبية، فيجب على أبناء العربية الغيورين على لغتهم أن يسعوا جاهدين لتعريب هذه المفردات وتلك التعبيرات والتحدث بها مع العامة حتى تكون مألوفة لهم، وهاك أشهر تلك المفردات وكيفية نطق العامة لها مع ذكر مقترح لها بالعربية:

---

(1) (البؤساء) تأليف/ فيكتور فيجو . تعريب محمد حافظ إبراهيم، المقدمة (كلمة في التعريب) ص٧.

أولا: مصطلحات الحاسوب وشبكة المعلومات والاتصال:

الكلمة باللغة الإنجليزية	الكلمة كما ينطقها الناس	المقترح لها بالعربية
Add	أدد	إضافة
Application	أبليكيشن	تطبيق
Automatic	أوتوماتك	تلقائي
Ban	بان	حظر
Block	بلوك	صد
Cancel	كنسل	إلغاء
Chat	شات	مسامرة
Class	كلس	فئة
Click	كلك	نقرة
Comment	كومنت	تعليق
Computer	كمبيوتر	حاسوب
Copy	كوبي	نسخ
Cut	كت	قص
Data	داتا	بيانات

Database	داتابيز	قاعدة بيانات
Delete	ديليت	حذف
Desktop	دسك تب	سطح المكتب
Disk	دسك	قرص
Download	داون لود	تنزيل من الموقع
Email	إيميل	بريد إلكتروني
File	فايل	ملف
Filter	فلتر	ترشيح
Folder	فولدر	حاوية
Footer	فوتر	ذيل الصفحة
Form	فورمه	نموذج
Format	فورمات	صيغ صياغة
High level	هاي لفل	مستوىٰ رفيع
Homepage	هوم بيج	الصفحة الرئيسة
Inbox	إنبوكس	صندوق الوارد
Index	إندكس	فهرسة
Input	إنبت	إدخال

إدراج	إنسرت	Insert
شبكة المعلومات	إنترنت	Internet
لوحة المفاتيح	كيبورد	Keyboard
رقعة تعريف	ليبل	Label
رابط	لنك	Link
قائمة بيانات	لست	List
ولوج دخول	لوج إن	Login
خروج	لوج أوت	Logout
قائمة خيارات	منيو	Menu
فأرة	موس	Mouse
شبكة	نتوورك	Network
متوافر على الشبكة	أونلاين	Online
غير متوافر على الشبكة	أفلاين	Offline
كلمة المرور	باسوورد	Password
لصق	بيست	Paste
تشغيل	بلاي	Play

Reply	ريبلاي	رد
Review	ريفيو	مراجعة
Save	سيف	حفظ
Screen shot	سكرين شت	صورة من الشاشة
Server	سرفر	نظام خادم
Site	سايت	موقع
Show	شو	إظهار
Shutdown	شت داون	التوقف عن العمل
Software	سوفت وير	برمجية
Standard	ستاندرد	قياسي
Style	إستيل	نسق
Table	تيبل	جدول
Upload	أبلوود	تحميل إلى الموقع
Update	أبديت	تحديث
User	يوزر	مستخدم
User name	يوزرنيم	اسم المستخدم
Window	وندو	نافذة

Wireless	وايرلس	لاسلكي

ثانيا: أسماء الأماكن:

الكلمة باللغة الإنجليزية	الكلمة كما ينطقها الناس	المقترح لها بالعربية
Hotel	أوتيل	فندق
Basin	بيسين	حوض. طست. وتستعمل بمعنى (حمام السباحة)
Mall	مول	مركز تسوق
Cafeteria	كافيتريا	مقصف
Bank	بنك	مصرف
Cinema	السينما	الخيالة
Market	ماركت	محل دكان حانوت

ثالثا: أسماء الآلات والأجهزة:

الكلمة باللغة الإنجليزية	الكلمة كما ينطقها الناس	المقترح لها بالعربية
Phone	تليفون	هاتف
Motorcycle	موتوسيكل	دراجة نارية
Radio	راديو	مذياع
lamp	لمبة	مصباح
Taxi	تاكسي	سيارة أجرة
Printer	برنتر	طابعة
Laptop	لاب تب	حاسوب محمول
Bus	باص	حافلة
Television	تليفزيون	مرئي (وتعرب إلى: تلفاز)
Frozen	فيريزر	مجمد
Microscope	ميكروسكوب	مجهر
Megaphon	مايكرفون	مكبر الصوت
Ascensore	أسانسير (من الإيطالية)	مصعد

Camera	كاميرا	مصورة
....	لوري	شاحنة
Cutter	كطر	قاطع - شفرة

رابعا: مصطلحات كرة القدم:

الكلمة باللغة الإنجليزية	الكلمة كما ينطقها الناس	المقترح لها بالعربية
Match	ماتش	مباراة
Goal	جول	هدف
Penalty kick	بلنتي	ضربة جزاء
out	آوت	رمية تماس
Corner	كورنر	ضربة ركنية (وترجمتها الحرفية: ركن. زاوية)
foul	فاول	خطأ
Captain	كابتن	رئيس الفريق (في كرة القدم). قبطان (في السفينة)

offside	أفسيت	تسلل
Hands	هندز	لمسة يد (الترجمة الحرفية: أيدي)
pass	باس	تمريرة
shot	شوت	تسديدة
Wing back	ونج باك	ظهير متقدم

خامسا: كلمات متفرقة

الكلمة باللغة الإنجليزية	الكلمة كما ينطقها الناس	المقترح لها بالعربية
....	كمبيالة	سفتجة (فارسي معرب)
Check	شيك	صك
Cashier	كاشير	محصل. صراف
Seminar	سمنار	مناقشة. حلقة دراسية
Sauna	ساونا	حمام البخار

petrol	بترول	نفط
Tennis	تنس	كرة المضرب
Mood	مود	مزاج
Reception	ريسبشن	استقبال غرفة الاستقبال
Card	كارت	بطاقة. ورقة لعب
Ticket	تكت	رقعة تعريف
presentation	بريزنتيشن	عرض
Logo	لوجو	شارة. شعار
Banner	بنر	شعار
Carnet	كارنيه	بطاقة تعريف (الترجمة الحرفية: دفتر)
Call center	كول سنتر	خدمة العملاء
أندام (فارسية)	هندام	هيئة – مظهر



المصادر والمراجع

١- **أباطيل وأسمار**: للعلامة الشيخ محمود محمد شاكر، المتوفى: ١٩٩٧م، مكتبة الخانجي القاهرة.

٢- **وحي القلم**: لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، المتوفى: ١٣٥٦هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**: للدكتور/ محمد محمد حسين، دار الحمامي للطباعة، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٤- **الإحكام**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المتوفى: ٤٥٦هـ تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥- **اقتضاء الصراط المستقيم**: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى: ٧٢٨هـ تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦- **أهمية تعلم علم النحو ومكانته عند السلف**: لأبي أنس أشرف بن يوسف بن حسن، دار آل ياسر، طبعة خاصة بمعهد الرحمة.

٧- **الإيمان**: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى: ٧٢٨هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨- **البؤساء**: تأليف/ فيكتور فيجو. تعريب محمد حافظ إبراهيم ج١ طبع مصر سنة ١٩٠٣م.

٩- **البحر المحيط في التفسير**: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المتوفى: ٧٤٥هـ تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.

١٠- **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**: لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المتوفى: ٨٠٨هـ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١١- **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**: للدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

١٢- **تحت راية القرآن**: لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، المتوفى: ١٣٥٦هـ المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

١٣- **تعلم من العازر بن يهودا**: نص منشور على الشبكة العالمية في موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية؛ الرابط: http://www.alfaseeh.net/vb/archive/index.php/t-25755.html

١٤- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى: ٧٧٤هـ تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥- **تهذيب التهذيب**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى: ٨٥٢هـ الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

١٦- **تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة تحاصر الإسلام وتحمل لواء هدم قيمه الأساسية**: لأنور الجندي، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣م.

١٧- **حاشية مقدمة التفسير (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)**: لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي، المتوفى: ١٣٩٢هـ، بدون ناشر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٨- **الخصائص**: لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، المتوفى: ٣٩٢هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

١٩- **الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»)**: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، المتوفى ١٨١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المتوفى ١٤٢٠هـ الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٢١- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**: لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، المتوفى: ٤١٨هـ تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، دار طيبة - السعودية.

٢٢- **صحيح البخاري**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، المتوفى:٢٥٦هـ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

٢٣- **صحيح مسلم**: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى:٢٦١هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤- **الصحافة والأقلام المسمومة**: لأنور الجندي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الاعتصام.

٢٥- **الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)**: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى:٧٥١ه، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ه طبع طبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٢٦- **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المتوفى:٧١١هـ، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ، دار صادر - بيروت.

٢٧- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المتوفى ٨٠٧هـ تحقيق: حسام الدين القدسي، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، مكتبة القدسي - القاهرة.

٢٨- **مجموع الفتاوى**: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني، الحنبلي، الدمشقي، المتوفى: ٧٢٨هـ دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م.

٢٩- **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المتوفى: ٤٠٥هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٠- **مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية**:

للدكتور/ وليد قصاب، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، دار الفكر - دمشق - البرامكة.

٣١- **الموافقات في أصول الشريعة**: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى: ٧٩٠ هـ تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار ابن عفان.

٣٢- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المتوفى: ٩٢٣هـ، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٣٣- **النظرات**: لمصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المنفلوطي، المتوفى: ١٣٤٣هـ دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.



فهرس الموضوعات



من أعظم ما يواجه النهضة الإسلامية في هذا العصر هو بُعد الناس عن العربية الفصحى وكل ذي بصيرة نافذة يعلم أن هذه حقيقة ينبغي التسليم بها.

وهذا الحال الذي وصلنا إليه يعمل عليه أعداء الإسلام منذ أمد بعيد، ولقد وصل هؤلاء إلى بعض ما يريدون، ولولا أن الله يحفظ دينه لضاعت اللغة العربية؛ فقد قيض الله عزوجل لها رجالا صادقين أوفياء يذودون عنها؛ لأنها هي التي تحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة.

لذلك كتبت هذه الرسالة أستحث بها أبناء العربية على الاهتمام بها وجعلها لغة التخاطب.



01000282166 - 01120774990
www.alamal-publications.com
Daralamal2014@gmail.com
Daralamal2014